(٢)

لماذا اختفى وزير الدفاع
فى الجلسة التاريخية وأين ذهب؟!

فى كتابه الشهير (الأبطال) يقول مؤلفه "توماس كارلايل"

– البطـل هـو الذى يضع تاريخ أمته.. والتاريخ الإنسـانى هو فـى حقيقة الأمر تاريخ الأبطال.. لكن المجتمعات الديمقراطية تؤمن بأن التاريخ يكتبه الشعب كله..؟!

يقول الجد لحفيده وقد وضع كتاب.. "كارلايل جانبا"..

– اسمـع يا ابنى إحنا فـى الجيش نتدرب على روح الجماعة ونؤمن بدور كل فرد فى المجموعة ويتحمل القائد كامل المسـئولية هذا هـو قدره الذى لا مهرب منه ولا مفر وأروع الأبطال عندنا هؤلاء الذين تتوافق غاياتهم وأفعالهم مع غايات الشعب.. لذلك تعتز المؤسسة العسـكرية بأنها خادمة الشـعب والمنحازة إليه والحارسة على أمنه وسلامته وقد جاء فى البيـان الأول بعد الخروج العظيم للشـعب فى ٣٠ يونيه ٢٠١٣ م أن القوات المسـلحة لن تكون طرفا فى دائرة السياسـة أو الحكم ولا ترضى أن تخرج على دورها المرسـوم لها فى الفكر الديمقراطى الأصيل النابع من إرادة الشـعب لقد استشـعرت القوات المسلحة خطورة الظرف الراهن والأمن القومى للدولة المعرض لخطر شـديد لقد عانى هذا الشعب الكريم ولم يجد من يرفق به أو يحنو عليه وهو ما يلقى بعبء أخلاقى ونفسى على القوات المسلحة..

ويفتح الجد المتقاعد دولابه ينفض الغبار عن بدلته العسكرية وما يلمع فوقها من أوسمة ونياشين ورتب ويأتيه صوت الأغنية التى أصبحت أيقونة ٣٠ يونيه فهى لم تنفرد بالغناء للقائد السيسى بل غنت للجيش كله:

تسلم الأيادى.. تسلم يا جيش بلادى.. واسألوا الرمل اللى فى سينا.. أنتى مروى بدم مين؟ دم حنا ولا مينا؟ ولا دم المسـلمين ولا صاحبى أو أخويا من عشـرة سـنين.. وتسـلم الأيادى.

الإخوانى

قلة قليلة هى التى كانت تعرف السيسى أصغر أعضاء المجلس العسكرى الذى تولى أمر البلاد بعد رحيل مبارك.. جلس الحفيد المرشـح للحربيـة إلى الكمبيوتر ودخل إلى محرك البحث "جوجل" وكتب اسم السيسى ثم ضغط "الماوس" وظهرت المعلومات تقول:

أن هـذا الضابط الصامت فى أغلب الوقـت والذى لا يحب الأضواء ويهرب من الزحام والبهرجة والذى يتولى إدارة المخابرات الحربية الذى تربى على أصوات الشيخ محمد رفعت وعبد الباسـط عبد الصمد وأبوالعينين شعيشع والمنشاوى والبنا ومنصور الشامى الدمنهورى

وكامل البهتيمى تهتز القلوب بكلماتهم وهو فى كل وقت وحين يسأل ربه أن يجعل كتابه ربيع قلبه ونور عينه ومرشده إلى طريق الصواب وأقصى ما يرجوه رضا ربه وأمه وأن تكون قرة عينه فى الصلاة على أوقاتها وقانونه الأبدى:

"لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق"

ويترجمها بالعامية ويرددها كثيراً:

الشاب المرشح للحربية يستعرض التاريخ العظيم لأكابر العسكرية المصرية: أحمد عرابى، عزيز المصرى، أحمد عبد العزيز، جمال عبد الناصر، عبد المنعم رياض، الشاذلى، أحمد بدوى، أنور السادات.. ويضاف إليهم بقوة السيسى الذى قيل فى بداية تعيينه وزيرا للدفاع إنه من عتاة الإخوان لأنه قابض على جمر دينه بعيدا عن التشدد والمغالاة

مواقع رخيصة بعد ٣٠ يونيه حاولت بكل السبل تشويه صورة الرجل فلم يزده ذلك إلا حباً واعتزازاً فى قلوب الملايين وقد رأت فيه ذلك الوطنى المخلص الذى أدرك وأيقن أن دنياه كلها لا تساوى عند خالقها جناح بعوضة وإنه مهما بلغ لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا وآثر أن يقول كلمته ويؤدى دوره وبينما كانت عيون العالم كلها على تلك الجلسة التاريخية التى جرى فيها إعلان خارطة الطريق فى وجود شيخ الأزهر وبابا الكنيسة ورموز البلاد أسرع إلى أمه فى مدينة نصر يقبل اليد والجبين ويسألها الدعاء من المولى أن يتم نوره على البلاد وأن يعصمها من الانقسام ولأنها تعرف بموعده الذى لا يخلفه تعد له أكلته المفضلة وهى "صينية الفتة"

وتطن دائما وأبدا فى أذنيه دعوتها الحانية الودودة له: "إلهى يا بنى يوقفلك ولاد الحلال وينصرك على من يعاديك ويكفيك شر حاكم ظالم"

قالوا بأن هذه الأم الطيبة يهودية الأصل وأن زوجته هى شقيقة رجل إعلانات شهير وإن سوزان مبارك هى التى اختارت له الزوجة

شائعات ساذجة لا يطلقها إلا المخبول الذى لا يعرف كيف يفبركها ويسبكها جيدا فالضابط الذى يرفض منصبا رفيعا فى السلك العسكرى مقابل أن تتخلى زوجته عن حجابها أبعد ما يكون عن هذا الإفك الرخيص نعم هو المسلم الملتزم وكذا أهل بيته وكيف لا والقرآن الكريم هو نور البيت والعقل والقلب أناء الليل وأطراف النهار:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [سورة الفرقان، آية ٧٤].

والناس قد تخلط بين الطيبة والقلب المتسامح المترفع عن الصغائر وبين الضعف والاستكانة

ومنذ اليوم الأول لتسلمه قيادة الجيش المصرى فى ١٢ أغسطس٢٠١٢ م كان الهدف الأول إعادة بناء القوات المسلحة وعلى مدى ٨ أشهر شهدت عشرات التدريبات التى لم تتحقق عبر سنوات طوال.. كانت عين السيسى على التدريب والعين الأخرى على ما يتم أمامه من اختطاف لمصر وأخونتها بل وانقسامها على أهلها بفعل فاعل يفترض فيه أن يجمعها على قلب رجل واحد... وقد حاول الجيش بحكم دوره الحارس لأمن البلاد أن يجمع الفرقاء تحت لواء واحد لكن رئاسة مرسى أحرجته فى لحظة ساخنة ثم كان حادث الاعتداء على جنودنا عند الحدود وبعضهم لم تكن شربة ماء الإفطار بعد صيام قد بلغت جوفه قتلهم الإرهاب ثم جاءت حادثة اختطاف مجموعة جنود الأمن المركزى لكى تؤكد أن هناك من يسعى لاختطاف الوطن لصالح أهله وعشيرته

فماذا يكون دور الجيش إذا لم يتدخل لحفظ أمن البلاد وخرج الرجل الأول يقول للناس:

لن نترككم للخوف وأشرف لنا أن نموت ولا تمتد أيادينا إليكم إلا بالحب وليس بالسلاح كانت الكلمة بليغة والإشارة واضحة والصدام يقترب لا محالة تتجمع المعلومات عند القائد ولعبة المعلومات هى مهارته التى يعرف جيدا كيف يتعامل معها ومع ذلك كانت سياسة السيسى تعتمد على درء الخطر عن الجميع– الرئاسة والشعب – بدون الانحياز لطرف على حساب الآخر حتى تظل مصرنا هى أم الدنيا وأن تكون بمشيئة ربها وسواعد جيشها "قد الدنيا" وأن يظل أهلها فى رباط إلى يوم الدين ولكن كيف ومرسى يأخذها عمدا إلى التقسيم.. تذهب سيناء إلى غزة وحلايب وشلاتين إلى السودان وتنتفض قرية "قطر" مركز الخليج مديرية إسرائيل محافظة أميركا.. على قناة السويس ثم تتخلى عنها لمن تريد وبالثمن الذى تزيده...

خيوط المؤامرة تكتمل على مكتب السيسى.. الرجل الذى يقال عنه انطوائيا هادئا لا يميل إلى الاستعراض لكنه عند الجد وعندما دقت ساعة الشعب وتحولت الشوارع إلى موجات هادرة من البشر والحماس وقتها ظهر "الصقر" وكشر الأسد المصرى عن أنيابه وآه من غضب الحليم.. وآه إذا سولت لك نفسك أن تمس شرف العسكرية خير أجناد الأرض..

تحولت الشوارع إلى حدوته مصرية بالملايين وحلقت طائرات جيشهم تباركهم وتشاركهم

فى حمل أعلام مصر الحبيبة وكأن المسألة بين الجو والأرض قد تلاشت والتحمت فى صورة تحرك الجبال وتهز الحجر وأصبحت حديث العالم كله..

حاول مرسى أن يتخلص من السيسى وفشل وحاول استقطاب بعض رجال الجيش ضده لكن هؤلاء الرجال الموت عندهم أهون من الخيانة

مرسى يمتلك السلطة والعشيرة والغباء.. والسيسى يعتمد على الله والشعب.. وقد حانت لحظة المواجهة التى لا فرار منها ولا بديل عنها ولله الأمر من قبل ومن بعد..

أنها المواجهة....

- بين إسلام يسعى بكل ما يملك وما لا يملك إلى السلطة والولاء للتنظيم
- وإسلام يسعى إلى وجه الله والولاء للوطن
- هذا يحمل قرآنه وينتقى منه ما يتفق مع مشروعه
- وهذا يحمل قرآنه وهو يدرك أن ربه أعلم بالنوايا وما تخفى الصدور؟
- وفى كل لحظة يسأل المسلم الحقيقى لمن الملك اليوم؟
- وفى كل لحظة يسأل الإخوانى: أين السلطة اليوم وغداً؟

□□□